

يعتبر جامع الزيتونة بتونس أحد أهم وأقدم المعالم والمعاهد التعليمية العربية ، فقد حافظ على المقومات الحضارية للمنطقة العربية ، وخاصة المغرب العربي ، وقد بنى الجامع رابطاً قوياً بين العديد من الدول العربية ، وهذا لإهتمامه بالعلم وتطويره عبر التاريخ ، في وقت كانت فيه الظروف في تونس والوطن العربي مضطرب ، ولا ننسى أئمة وعلماء جامع الزيتونة الذين حملوا لواء الثقافة .

وفي دراستنا هذه سنتطرق في الفصل الأول لنشأة جامع الزيتونة وتطوره التاريخي وكذلك سنتطرق للحالة العلمية ونعرّف بعض أئمة جامع الزيتونة .

أولاً: تاريخية جامع الزيتونة

أ- تأسيس جامع الزيتونة:

يعتبر الجامع من أقدم المعاهد العربية، فهو يضاهي الأزهر وجامع القرويين بشمال إفريقيا وقد اختلفت الروايات حول من أسس الجامع، فقد نسب الشيخ أبي عبد الله بن عثمان سنوسي البناء إلى حسان بن نعمان¹، في حين أتمه عبيد الله الحبحاب² سنة 141هـ/764م³.

ذكر المراكشي أن عبيد الله الحبحاب قدم إفريقيا في ربيع سنة 116هـ وهو الذي بنى الجامع بتونس⁴.

ب- أصل التسمية :

أما عن تسمية الجامع، فقليل أنه سمي بالزيتونة ليكون نورا يضاء بها إفريقيا⁵ لقله تعالى: ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نورهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحُ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا

1- هو حسان بن النعمان بن عدي بن مغيث بن عمرو، تولى إفريقيا سنة ثلاثة وسبعين للهجرة، استطاع فتح قرطاجنة والمغرب، انظر: محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ط7، دار الفكر، د، م، 1974م، ص172، 205.

2. عبيد الله الحبحاب : هو مولى بن سلول ، كان رئيسا نبيلًا ، بارعا في الفصاحة والخطابة ، حافظ الأشعار ، كان في بادئ الأمر كاتبًا ثم تولى مصر وإفريقية والمغرب كله في عهد هشام بن عبد الملك ، أنظر : رقيق القيرواني ، تاريخ إفريقيا ، ط1، دار الفرحاني ، القاهرة ، 1994م ، ص66.

3. أبي عبد الله محمد بن عثمان سنوسي ، مسامرات الظريف بحسن التعريف ، تحقيق محمد شاذلي النيفر ، ج 1 ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1994 ، ص 470.

4. ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان بروفينسال، ج1 ، ط3 ، دار الثقافة ، لبنان ، 1989م ، ص 52 . أنظر الملحق رقم 1 ص 63

5. وفاء النعاس ، الطلبة الجزائريون الزيتونيين والحركة الإصلاحية الجزائرية 1900 - 1954 ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2013-2014م ، ص37.

شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي
اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))¹.

في حين هناك روايات تذكر أنهم وجدوا زيتونة منفردة في موقع الجامع، وبهذا سمي
بجامع الزيتونة²، كما ذُكر أن الجامع كانت به زيتونة حول صومعة الجامع³.

ج - هندسة الجامع:

كان الجامع في هندسته كباقي الجوامع الموجودة في شمال إفريقيا، بحيث تعود
سراري الممرم التي أقيمت عليها أقواس بيت الصلاة إلى قرطاجنة⁴، أما أبوابه من عود
الصنديل التي ترجع إلى حوالي القرن الخامس عشر ميلادي، بالإضافة إلى أنه تم تشييد
الصومعة لحوالي سنة 1312م، التي تعود هندستها لسليمان النيقروا ، وقد كان آخر ترميم
حصل بالجامع سنة 1939م، مسّ قبة المحراب والتي يعود بناؤها لعام 250هـ⁵ ، ويذكر
ابن أبي دينار في مؤلفه : "...أن جامع تونس رفيع البناء مطل على البحر، ينظر الجالس
فيه إلى جميع جواره، ويرقى إلى الجامع من جهة المشرق على اثنتي عشر درجة..."⁶.

وقد مرّت هندسة الجامع بإصلاحات منها: في عهد زيادة الله بن الأغلب، الذي بني
فيه أبنية ضخمة ، كما قام هذا الأخير في سنة خمسين ومائتين بنقش في قبة المحراب،

1. سورة النور ، الآية 35.

2. ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط1، مطبعة تونسية ، تونس ، 1686 م، ص7.

3. محمد بن الخوجة ، صفحات من تاريخ تونس ، تح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى ، ط 1 ، دار الغرب
الإسلامي بيروت ، لبنان ، 1986 م، ص 283.

4. قرطاجنة: مدينة قديمة، أسسها الفينيقيون عام 814 ق.م ، في موقع غير بعيد عن تونس العاصمة الحالية ،
وقرطاجنة تعني المدينة الحديثة ، أنظر هنري س ، عبّودي ، معجم الحضارات السامية ، جروس برس ، لبنان ، ط2 ،
ص991.

5. محمد بن الخوجة ، المرجع السابق ، ص 284.

6. ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 9 .

أما في العهد الحفصي، فقد أمر السلطان زكريا الحفصي¹ بإقامة عوارض و أبواب من خشب لبيت الصلاة ، وكان ذلك سنة ستة عشر وسبعمئة، ووضع رخامة وكتب عليها اسمه².

أما سقوف الجامع فهو على شكل سطح موجود في القسم الخارجي للجامع ومغطى من الداخل بسقيفة خشبية ذات عوارض ظاهرة، وتمّ تجديده مرارا في العهد الأغلبي³.

د- التطور التاريخي للجامع الأعظم:

مرّ الجامع الأعظم بتطورات عبر مراحل تاريخية:

1-العهد الأغلبي (184. 296 هـ / 909.800م) :

اعتنى الأغالبة⁴ بجامع الزيتونة اعتناءً كبيراً، ومن بين الأسباب التي أدت لهذا الاعتناء، اعتبار أن مدينة تونس ثغراً للمرابطين، إضافة إلى سبب سياسي ، والذي يكمن في نيل رضى أهل تونس، وذلك من خلال الاهتمام بالجامع الأعظم⁵.

كما يعود إزدهار الجامع في هذا العهد، إلى أن أمراء الدولة الأغلبية ساهموا بشكل كبير في عمران إفريقية خاصة المعالم الدينية منها.

1. زكريا الحفصي : هو ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ، بن أبي حفص عمر ، بويح بتونس سنة سبع وعشرين وستمئة ، أنظر : أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح: محمد ماضور ، ط2 ، مكتبة عتيقة ، تونس 1966 م ، ص 24 .

2. أبي عبد الله محمد بن عثمان سنوسي ، المصدر السابق ، ص 203 - 204 .

3. اسماعيل بيّوض ، وجلول بن بشير ، اسهام جامع الزيتونة في الحياة السياسية والثقافية بتونس 1912 - 1952 م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، تاريخ حديث ومعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، إشراف الدكتور قوبع عبد القادر ، جامعة زيان عاشور بالجلفة ، 2014 - 2015 م. أنظر الملحق رقم 2 ص 64

4. الأغالبة :قامت بأفريقية على إبراهيم بن الأغلب من عام184هـ الموافق ل 800م،كان سقوطها بتاريخ 289-296هـ 296هـ الموافق ل 902-909م،أنظر : محمد الطالبي ،الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ/800-909م، مراجعة حمادي الساحلي ،ط2،دار الغرب الإسلامي،لبنان ،1995م ،ص5 ،700.

5. خير الدين شنترة ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 - 1956 م ، ج1 ، ط خ ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 م ، ص 694 - 695 .

2- العهد الفاطمي (296-368هـ/909-973م):

أولى أمراء الدولة الصنهاجية اهتماما كبيرا بالجامع وذلك من خلال ترميمات منها إنشاء القبّة البديعة فوق البهو والرواق الموجود أمام واجهة بيت الصلاة .

3- عهد أمراء بني خراسان (450-550هـ/1058-1160م) :

بعد تفهقر الدولة الصنهاجية استقل بنو خراسان في الحكم، واتخذوا تونس عاصمة لهم، واعتنوا بجامع الزيتونة وذلك ، وبترميم بيت الصلاة، وتعويض عمودين بواجهة المحراب وتاجين من النمط الخراساني، وفتح أبواب جديدة، حتى أصبح عددها اثني عشر بابا، بعدما كانت ستة أبواب¹.

4- العهد الحفصي (7-10ق/13-16 قبل الميلاد) :

شهدت تونس خلال العهد الحفصي ازدهارا ثقافيا ونهضة عمرانية، دامت حوالي أربعة قرون، وقد عرف جامع الزيتونة في هذا العهد هبة لا مثيل لها، فقد اعتنى الحفصيون بالجامع، واهتموا بتأسيس المؤسسات العلمية والدينية، وقد خصّص السلطان أبو زكريا الحفصي أسواقا للحرف على طول واجهة الجامع²، ومن بين هذه الأسواق التي شُيّدت بجانب الجامع: سوق القشاشين، سوق الكتبين ، كما عرّف الجامع بتشديد المدارس بالقرب منه ، من بينها المدرسة التي بنتها زوجة أبي زكريا الحفصي تعرف بالمدرسة التوفيقية³.

1. خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ط1، ص 695.

2. أحمد الطويلي ، في الحضارة العربية التونسية ، د ط ، دار المعارف ، تونس ، دت ، ص 10- 16.

3. روبرار برنشفيك ، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر ، ترجمة حمادي الساحلي ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 1988م، ص 376-382.

5-العهد العثماني (981- 1104 هـ / 1574 - 1631 م):

بدخول العثمانيين¹ لتونس أدخلوا المذهب الحنفي ، وكان أول جامع بناه العثمانيين هو جامع يوسف داي سنة 1612 م ، كما اعتنوا بتهيئة الجوامع المالكية ، منها جامع الزيتونة وذلك بترميمه بعدما انتهكه الجيش الاسباني.

5- عهد المراديين (1041 - 1124 هـ / 1631 - 1702 م) :

اعتنى بايات الدولة المرادية² بأماكن العلم ، منها ترميم وتحسين الصومعة الحفصية سنة 1652، كما تصرفوا في شؤون الجامع من سنة 1304 هـ 1624م إلى سنة 1577 هـ 1812م، من أهم إنجازاتهم تحسين الرواق الشرقي لجامع الزيتونة³.

6-عهد الحسينيين(1317-1377هـ/1705-1957م):

قام بايات الدولة الحسينية بإحياء التعليم في جامع الزيتونة، وإقامة شعائر وترتيل القرآن الكريم ورواية الحديث، إحداث الأوقاف لفائدة المدرسين والقراء، بالإضافة إلى تعويض الصومعة القديمة التي تداعت للسقوط سنة 1884م، بالإضافة إلى إصلاح وتنظيم التعليم في الجامع، وبإحداث ثلاث وظائف وهي: مستشار المعارف بالوزارة الكبرى ونائبين له، وبالتالي أصبح التعليم الزيتوني تحت رقابة الباي نفسه⁴.

1.الدولة العثمانية : تأسست في بداية القرن الرابع عشر ، وبحلول عام 1517م توسعت بعد ضمها إلى المنطقة العربية ، أنظر : خليل إينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار ، تر،محمد الأرنؤوط ، ط1، دار المدار الإسلامي ، لبنان ، 2002م ، ص10 ، 13.

2. الدولة المرادية: نسبة الى مراد كورسو، من اصل كرسيكي، المراديون حطموا تونس في منتصف القرن السابع عشر ، خدموا مصلحتهم قبل مصلحة تونس، انظر : محمد الهادي شريف، ما يجب ان تعرف عن تاريخ تونس، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، سراس للنشر، تونس ، 1993 م ، ص77- 79 .

3. روبرار برنشفيك ، المرجع السابق ، ص382.

4. خير الدين شترة ، المرجع السابق ، ص 698 - 701 .

ثانياً: الحالة العلمية بالجامع الأعظم وأهم مؤسساته وأعلامه ومجلته**أ- التعليم والنظام بالجامع الأعظم (1842م-1933م):**

أما بالنسبة لترتيب التدريس في جامع الزيتونة، فقد رتب المشير احمد باشا يوم 4 ديسمبر من عام 1842م من خلال منشور من ذهب وختمه بطابعه وتم تعليقه عند باب من أبواب جامع الزيتونة ، واقتضى هذا المنشور أن ينتخب خمسة عشر مالكي وخمسة عشر حنفي، وكان مرتّب كل واحد منهما ريالين لكل يوم، وتكمن مهمتهما في إقراء درسين في الجامع، وقد النظر لشيخ الإسلام الحنفي والمالكي، ولكل منهما مرتّب يقدر بمائة ريال في كل شهر، مع مساعدين لكل منهما، ويقدر مرتب كل منهما بثلاث ريالات في اليوم، وقد وُكِّلَ لهؤلاء الأربعة حفظ بيت المال الذين يقومون كل ستة أشهر بتسطير المحاسبة التي ترفع إلى الباي ليقوم بإمضائها¹.

كان التعليم يقوم على أساسين: تدريس القرآن والسنة، والذي ينقسم بدوره إلى علوم شرعية وأخرى وضعية، فتشمل العلوم الشرعية على: التفسير، علم الكلام، القرآن: الحديث، أما الوضعية فمنها: النحو، اللغة، المعاني، بالإضافة إلى الحساب ، وكانت هذه العلوم تجري وفق ثلاث درجات: ابتدائي تتضمن أربعمئة درس، يحصل دارسها على شهادة تسمى الأهلية، بالإضافة إلى الدرجة الثانية متمثلة في الثانوي، وتتضمن حوالي مائة وثمانين درس، وشهادتها تسمى التحصيل، والدرجة الثالثة تعرف بالتعليم العالي وشهادتها تسمى العالمية، وتتضمن هذه الدرجة خمسين درسا²، وتسمح هذه الشهادات لحاملها بالحصول على وظائف، فمثلا الذي درس الشريعة يمكنه العمل في العدالة أو الإمامة والقضاء والفتوى وهكذا، أما عن رتب التدريس بالجامع فتنقسم إلى أربع طبقات وهي:

- الطبقة الاستثنائية: هي رتبة أستاذية، عدد هذه الطبقة الممتازة ثمانية، ينقسمون إلى نصفين ، الأحناف والمالكية³.

- الطبقة الأولى: تضم ثلاثة وعشرين مدرس.

1. أحمد بن أبي الضياف ، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تح: لجنة وزارة الشؤون الثقافية ، ج

4 دط ، الدار العربية للكتاب ، د ت ، ص 65 - 66 .

2. محمد بن الخوجة ، المرجع السابق ، ص 292 .

3. محمد بن الخوجة ، المرجع السابق ص 293 .

- الطبقة الثانية: يقوم بها واحد وعشرين مدرس.
- الطبقة الثالثة: تضم ستين مدرس، وهم الذين يتولون التعليم الابتدائي بالجامع ومؤسساته يضاف لهم معلم خط ومعلم صحة¹.

1-الإقراء :

بحيث كانت تقام بالجامع شعائر يومي الجمعة والخميس، على مذهب مالك بن أنس - رضي الله عنه - بالإضافة إلى تلاوة القرآن، وتكون مهمة النظر إلى إمام الجامع ومن هذه التلاوات، حزب الأسبوع ، والذي تكون قراءته بعد صلاة الصبح كل يوم، وقراءه ينقسمون إلى سبعة دول، بحيث يحضر من كل دولة قارئ يوماً في الأسبوع، والختمة تكون يوم الجمعة من كل أسبوع، وهناك أحزاب أخرى بالجامع، ومنها ثلاثة أحزاب بعد صلاة الصبح، وسبعة أحزاب قبل الزوال، وثلاثة أحزاب عند الزوال وستة قبل الظهر، وخمسة عشر بعدها، وثلاثة عشر حزب بعد صلاة العصر، وحزبان بعد صلاة المغرب².

2-التلاميذ :

ويكون لكل تلميذ دفترًا يكتب له فيه أساتذته في كل شهر أهم ملاحظات حول المواظبة والفهم والنجابة، وقد بلغ عدد التلاميذ في الجامع حوالي ألفين، من بينهم طلاب من الجزائر والمغرب الأقصى وطرابلس، وكان على التلاميذ الإلتزام بقوانين من الآداب، كأن يلتزم التلميذ آداب السؤال ، فيسأل سؤالاً ملتزماً اللطف في سؤاله، وإذا سأل التلميذ فليس لغيره من الطلاب أن يجيب إلا إذا أذن له الشيخ بالجواب، ويتعرض التلميذ في حالة إساءة الأدب مع أستاذه للتوبيخ أو الطرد من المعهد مؤقتاً، أو طرداً نهائياً³.

أما بالنسبة للحياة اليومية بالجامع الأعظم، فقد كان التلميذ يذهب فجرًا إلى الجامع لحفظ المتن، وعلى الساعة السابعة تبدأ الدروس حتى الزوال، ثم يعود لغرفته، ثم يرجع ويبقى بالجامع حتى الساعة الخامسة، وبعد الخامسة هناك من الطلبة يقصدون المدرسة الخلدونية، وهناك من يرجع إلى سكنه لمراجعة دروسه، أما بالنسبة للعطل في الجامع، تم

1. المرجع نفسه، ص 293 .

2. أبي عبد الله محمد بن عثمان سنوسي ، المصدر السابق ، ص 204 - 205.

3. محمد الخضر حسين ، تونس وجامع الزيتونة ، ط 1، دار النور ، سوريا ، 2010 م ، ص 36 .

تنظيمها سنة 1933م، وهي كالتالي: عطلة الصيف من 16 جويلية إلى 30 سبتمبر، والعطل الدينية وهي كالتالي: الجمعة، عاشوراء (يوم)، المولد النبوي (ثلاثة أيام)، شهر رمضان، عيد الفطر (أربع أيام)، عيد الأضحى (خمسة أيام)، أما عدد السنوات التي يقضيها الطالب بالجامع الأعظم من سبعة إلى عشرة سنوات¹.

3- الامتحان :

يعقد الامتحان عند نهاية السنة الدراسية من كل سنة، حيث يقوم لجان من المدرسين لاختبار التلاميذ من أجل أخذ شهادة التطويح التي تضاهي الشهادة العالمية بالأزهر، وطريقة الامتحان هي قيامه بتحرير مقالة ارتجالية على مرأى المراقبين، ثم إلقاء درس سواء في الأصول أو الفقه أو البلاغة، ويسأل بعد ذلك تسع أسئلة منها: الفقه، النحو، الصرف، وعلمي الحديث والتفسير لم يكونا ضمن الامتحان².

ب- أهم مؤسسات الجامع:

1- المكتبة الصادقية :

تعرف اصطلاحا بالمكتبة العبدلية ، ويعود تأسيسها إلى أوائل المائة العاشرة على يد عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود ، توجد بالرواق الشرقي للجامع ، غير أن تونس عرفت عقب الاستعمار نوعا من الفتور ، كما تعرضت هذه الخزائن للتخريب ، ومع ظهور الدولة الحسينية عرفت تونس نهضة وعناية في بناء المدارس ونسخ الكتب ، خاصة كتب الفقه ، ومنها ما قام به الباي حسين بن علي ، الذي أرسل للأستانة مفتي دولته لإقتناء جملة من الكتب التي جمعها بمسجد بيت الباشا بباردو ، ومنها حواشي الكشاف ، المكتبة .

1. خير الدين شتره ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 - 1956 ، ج 2 ، ط خ ، دار البصائر الجزائر ، 2009م، ص 1124 .

2. محمد الخضر حسين ، المصدر السابق ، ص 37 .

الصادقية التي تنسب لمحمد الصادق باي¹، التي جعلها باسم المكتبة العبدلية سابقا ، ومن أهم الكتب التي كانت بالمكتبة ، منها ما أضافه خير الدين² ، حوالي ألف مجلد من كتبه الخاصة ، منها كتاب " البيارمة الأعلام " ، بالإضافة إلى 300 مجلد أضافها علي باي الثالث أما في الفترة المعاصرة فقد عرفت المكتبة أوقافا عديدة منها ما حبسه أحمد باشا باي الثاني وتضمنت تفسير الإمام الثعالبي " نيسابوري" في أربعة أجزاء³، ومن ثم قام خير الدين باستحداث المدرسة الصادقية من أجل ان تواكب التطور ، وذلك بإدخال العلوم المعاصرة كاللغات الأجنبية⁴.

2-المكتبة الأحمدية :

جمعت هذه المكتبة نفائس المغرب والمشرق ، فقد اشتملت هذه المكتبة على كتب الوزير حسين خوجة باشا مملوك ، بالإضافة إلى خزانة كتب الشيخ إبراهيم التي تعتبر أنفس الكتب التي وقفت بالمكتبة ، كما تضمنت كناشات شيخ الإسلام أحمد كريم وديوان شعره ، وكذا في شرحه في الفقه الحنفي ، وكذا كتاب الإتيقان وعلوم القراءات للسيوطي والعديد من الكتب الأخرى للكثير من المؤلفين والعلماء والعلماء ، وأغلب كتب هذه المكتبة مخطوط باليد⁵.

1.محمد الصادق باي : هو محمد الصادق بن حسين ، ولد في 07 فيفري 1813م ، وهو باي تونس الثاني عشر ، خلال حكمه وضع نص المعروف بعهد الأمان لتحقيق العدل بين الرعية ، وحقوق الأجانب في تونس ، توفي في 29 أكتوبر 1882 م ، أنظر : محمد بن حسن عقيل موسى ، المختار المصون من أعلام القرون ، د ط ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، د ت ، ص 1831 - 1832 .

2.خير الدين : ولد بقبيلة أباضة ، وصل إلى قصر الباي أحمد باشا سنة 1856 م ، أصبح رئيس الوزراء ، كان من دعاة الإصلاح ومواكبة التطور الأوروبي ، صاحب كتاب " أقوم المسالك " ، توفي عام 1889م عن عمر 77 سنة ، أنظر أحمد زكي ، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث ، ط1، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، 2001م، ص30-31.

3.محمد بن الخوجة ، مرجع سابق ، ص 294 - 306 .

4.محمد شاذلي بن القاضي، الجامعة الزيتونية ، المجلة الزيتونية ، هيئة مدرسي جامع الزيتونة المعمور ، العدد 57 ، مج 9 ، ج 6 ، 1955م ، ص291.أنظر الملحق رقم 3 ص 65 .

5. محمد بن الخوجة، المرجع السابق، ص303-305.

3-المعهد الخلدوني :

نسبة للعلامة عبد الرحمان، بن خلدون ، جاء هذا المعهد لسد الثغرة التي يشكو منها التعليم في جامع الزيتونة ، وذلك لتدريس العلوم العصرية باللغة العربية ، وفي سنة 1898 م وبعد اجتماع لجنة إصلاح التعليم الزيتوني تم ربط جامع الزيتونة بالوزارة الكبرى ، وقد أُنشئ المعهد الخلدوني أو المدرسة الخلدونية في 22 ديسمبر 1896م وذلك بعد موافقة المحكمة ومن مهامها:

- ترتيب دروس في التاريخ والجغرافيا.
- تسهل وسائل لإستكمال المعارف.
- إنشاء مكنتات.
- تُحدِث جريدة تنشر بالعربية والفرنسية¹.

ويوجد بمعهد الخلدونية ثلاثة أقسام : الابتدائي ، الثانوي ، والتعليم العالي ، وتأسست بالخلدونية 1900 مكتبة ، وهو رقم كبير ، لكن هذه المكاتب تحتوي على نسبة قليلة من الكتب².

ج- تراجم لبعض العلماء الذين تداولوا على إمامة الجامع الأعظم: هناك العديد من الأئمة الذين درّسوا في جامع الزيتونة ، ونذكر منهم :

1-الشيخ محمد البخاري :

من أفاضل علماء تونس ، وهو أبو عبد الله محمد بن عثمان بن محمد بن نجار ، ولد عام 1255 هـ ، تلقى تعليمه في جامع الزيتونة عام 1270 هـ ، ثم درّس بالجامع عام 1282 هـ ، أنتخب مدرّساً من الرتبة الثانية 1284 هـ ، وتولى منصب الإفتاء ، درّس شرح عبد الباقي الزرقاوي على المختصر الخليلي ، من أهم مؤلفاته مجموع الفتاوى في ثمانية مجلدات وكتاب "بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق"³ .

1. خيرالدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج1، ص657-658.

2. المرجع نفسه، ص 660، 664 .

3. محمد الخضر، مصدر سابق، ص120-138 .

2- محمد النيفر :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم النيفر ، ولد سنة 1222 هـ ، انتصب للتدريس في السنة الثامنة عشر ، درّس بجامع الزيتونة كتب عالية مثل : شرح القطب على الشمسية ، وتفسير القاضي البيضاوي ، تخرّج على يده شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن الخوجة ، سالم أبو حاجب ، قاضي ، الجماعة الطاهر النيفر ، من أهم مؤلفاته : "رسالة في البسمة" ، توفي في المدينة المنورة¹.

3- محمد الطيب الرياحي :

ولد سنة 1226 هـ ، درّس بجامع الزيتونة في الرتبة الأولى ، من أهم مؤلفاته : حواشي على شرح المحلي لجمع الجوامع الأصولي ، وحواشي على شرح الأشموني لألفية بن مالك توفي سنة 1266 هـ².

4- الشيخ علي البكري :

هو أبو حسن علي بن أبي بكر بن محمد تاج العارفين بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الأموي ، تقدّم لخطّة الإمامة الكبرى بجامع الزيتونة³.

5- الشيخ صالح الكواش :

ولد بتونس سنة 1137 هـ ، عمل في التدريس بجامع الزيتونة ، فكان يقرئ شرح الزرقاوي على المختصر ، تخرّج على يده علماء منهم : اسماعيل التميمي والعلامة سيدي ابراهيم ، توفي صالح كواش مساء يوم الاثنين 17 شوال من عام 1218 هـ⁴.

1. محمد الخضر ،مصدر سابق ، ص138.

2. محمد النيفر، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، تح: علي النيفر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي 1996م، ص339.

3. عثمان سنوسي، مصدر سابق، ص219.

4. ابراهيم النيفر، تراجم عظمائنا، المجلة الزيتونية، هيئة مدرسي جامع الزيتونة، ع 57، مج1، ج8، أبريل 1937، ص 401-400.

5- أبو عبد الله محمد بن عرفة:

أحد أئمة الجامع، ولد سنة ست عشر وسبعمئة، درّس في الجامع مختصر الفقه، برع في الأصول والفروع وكذا الحساب تميز بصفات الزهد والعبادة، وفاته كانت سنة ثلاث وثمانمئة¹.

6- محمد الطاهر بن عاشور:

ولد في شمال تونس عام 1296 هـ الموافق لـ 1879 م ، أبوه محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، نشأ محمد الطاهر بين عاشور في بيت علم ، تميز بالصبر والصفح والعمق ، درس بجامع الزيتونة ، ثم أصبح مدرّساً بالجامع منذ (1317هـ / 1899م) توفي يوم الأحد 13 رجب 1393 هـ الموافق ليوم 12 أوت من عام 1973م ، من مؤلفاته : موجز البلاغة ، جمع وشرح ديوان بشار بن برد وديوان النابغة الذبياني².

د-مجلة الزيتونة وإرهاصات الفكرية:

1- تعريف المجلة الزيتونية:

هي مجلة علمية أدبية أخلاقية، أصدرتها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور وشعار المجلة هو الإصلاح الديني، وتهدف إلى مقاومة كل حركة تدعو للتعصب الديني أو المذهبي، ومقاومة البدع والخرافات.

2- أهم المشرفين على المجلة :

- صاحب المجلة : محمد الشاذلي بن القاضي ، وهو مدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا .
- مديرها : الطاهر القصار ، مدرّس بجامع الزيتونة .
- رئيس تحريرها : محمد المختار بن محمود ، مدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية.

1. أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط1، مطبعة الدولة التونسية ، تونس، 1287م ص323.

2. محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب ، ط1، دار سحنون، تونس، 2006م، ص230.

- أمين المال: محمد الهادي ابن القاضي، مدرس بجامع الزيتونة¹.

3- إرهاباتها الفكرية:

شملت المجلة الزيتونية العديد من الأفكار التي كانت في جامع الزيتونة ، وهي عبارة على أبواب ، كل باب يحتوي على عنوان لموضوع من المواضيع الدينية والأخلاقية والأدبية وغيرها ، وهذه المواضيع هي كالتالي :

- القرآن الكريم ويشتمل على مباحث تتعلق بالقرآن ودروس التفسير التي القاها الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بجامع الزيتونة ، وتفسير الحزب الأخير من القرآن الكريم .
- الحديث الشريف، يشرح فيه الأحاديث التي تحتاج إلى شرح ،ونشر الأختام التي يلقيها المشايخ في شهر رمضان .
- التشريع الإسلامي، و تطرقت فيه المجلة إلى مقاصد الشريعة وأسرارها .
- الفتاوى والأحكام ، وهذا الباب فيه الأسئلة التي ترد إلى المجلة من مختلف الأشخاص ، وفيها بعض الفتاوى التي صدرت من المشايخ .
- التاريخ ، وتمّ فيه التطرق إلى المباحث التاريخية وبالأخص التاريخ المرتبط بتونس .
- الأدب ، وفيه الشعر التونسي .
- الأخلاق، وذلك ببيان فضائل ومكارم الخلاق.
- الصحة والمخترعات الحديثة.
- الحركة العلمية والأدبية في تونس وفي المشرق.
- الإرشاد والوعظ وهو من أعظم أبواب المجلة ، حيث يتطرق هذا الباب لإرشاد الناس وابعادهم على الخطأ².

1. محمد المختار بن محمود، مقدمة، المجلة الزيتونية، هيئة مدرسي من جامع الزيتونة المعمور، ع 57 ، ج 1 ، سبتمبر 1936 ، ص 3- 5. أنظر الملحق رقم 4 ص 66 .

2- محمد المختار بن محمود، مقدمة، المجلة الزيتونية، ع 57، ص 3- 5. أنظر الملحق 4 ص 66 .

تطرقنا في هذا الفصل دراسة جامع الزيتونة ، وتوضّح لنا أنه هناك روايات عديدة حول تأسيس الجامع وأصل تسميته ، أما عن التطور التاريخي للجامع ، هناك فترات شهد فيها الجامع نهضة علمية وعناية في هندسته ، و فترات أخرى شهد فيها جمود فكري ومعماري ، ورغم هذا الجمود إلا أن العديد من أئمة الجامع اهتموا بالعلم وطوّروه وكانوا سبباً في إصلاحيات التعليم في الجامع ، كما تطرقنا في الفصل إلى المجلة الزيتونية وأهم أفكارها، والتي كان لها تأثيرها كبير على المجتمعات في علمهم وحتى أخلاقهم ، فقد كانت المجلة الزيتونية تعكس آراء جامع الزيتونة وتوظفها في المجلة .